

مصطلح الإسلام السياسي في الميزان



الخميس 18 مايو 2023 03:22 م

د [] علي محمد الصلابي

إننا لا ننكر أن هناك من يتاجر بالدين، ويستغل عواطف الناس للوصول إلى السلطة من أجل مغنم زائلة، وسلطة واهية، ويقوم بممارسة الكذب والاحتيال والبغي والمكر، واستخدام الرشوة والتسوت والرقوم من أجل البقاء في السلطة، مردداً بعض المصطلحات الإسلامية التي داسها بأفعاله وسلوكياته وممارساته، فأمثال هؤلاء لا يُعتدون القيم الإسلامية والمبادئ القرآنية في إدارة الحكم، وإنما يمثلون أنفسهم، وما هم إلا زبد سيذهب جفاءً، وأمرهم إلى الله []

ويمكن القول، إن كلمة الإسلام السياسي دخيلة لا علاقة لها بالإسلام الذي نزل على رسول الله []، الإسلام الذي يقول الله تعالى فيه: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) [النحل: 89].

والذي يقول الله تعالى فيه: (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) [الفرقان: 33]. وقد استخدمت بعض الأنظمة والأحزاب كلمة الإسلام السياسي في معركة المصطلحات للتشويش والتشكيك في دعاء المسلمين وعلمائهم وقادتهم السياسيين الذين يعملون بالفكر والطرق السلمية لدعوة الشعوب الإسلامية لتحكيم شرع الله وقيم الإسلام في نظام الحكم المتعلقة بالرئاسة والبرلمان والسلطة التنفيذية والساتير الحاكمة وغيرها من الأمور []

وكان كل من يدعو إلى قوله تعالى: (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَكُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [يوسف: 40]. وقوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [الجن: 18] وقوله تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَبِّحُوا تَسْبِيحًا) [النساء: 65]؛ يريد الدنيا، ويتاجر بالدين، ويلتبس على العامة، ويعبث بمشاعر الناس البسطاء!

فلا يكلّ أعلامهم من تشويه الإسلام وعقائده وثوابته وقيمه وأخلاقه، ومرجعياته التاريخية والحضارية [] ومن ضمن مخططاتهم الفاسدة، دفع المشهد السياسي إلى الفوضى الفكرية والأخلاقية، ومحاربة النظم الرشيدة، والقيم الحاكمة في اختيار الرئيس في صفاته الأخلاقية، وكيفية اختياره ووظائفه وأعماله، وبأنه خادم للشعوب أجير لديها، وملتزم بدساتيرها [] واختيار أعضاء البرلمان وكيفية اختيارها، وتحديد المهام والوظائف، ومنع الانحراف الذي قد يحدث على حساب المصلحة العامة []

واختيار السلطة التنفيذية ومحاسبتها، وضبط معايير لاختيارها، ومراقبتها في خدمة شعبها، ومتى يستمر دعمها، ومتى يتم عزلها، ووضع دستور الدولة، وقيمه الحاكمة في الحريات وحقوق الإنسان وكرامته، والعدالة والمساواة بين البشر في الواجبات والحقوق [] إن كل تلك المعايير والقيم والمبادئ في الرئيس والرئاسة، والبرلمان وأعضائه، والسلطة التنفيذية من وزراء ووكلاء وكبار الموظفين؛ تُستمد من القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، وحكم الخلفاء الراشدين، وتجارب الإنسانية النافعة في إدارة الحكم وأمور السياسة [] أراد هؤلاء أن يفسلوا الإسلام عن توجيه الحكام وضبط مسيرتهم ومحاسبتهم، وأنه لا علاقة للقرآن بنظام الحكم، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على جهل كبير بالإسلام، أو عداً بين []

فيصوّرون الإسلام وكأنه جاء للعزلة أو دعا لها، وكأنه ليس له علاقة بأمور الشعوب وعقولهم ونفوسهم، أو أموالهم ودمائهم وأعرافهم، وكأنه ليس له علاقة بسيادة بلادهم، أو الدفاع عن مقدّساتهم، أو لا يدعو إلى التعاون الإنساني والسلم العالمي! أرادوا أن يقدموا للناس ديناً لا علاقة له بالإسلام؛ عزلوا قيماً مهمة ومبادئ حاكمة، ومناهج راشدة عن الحياة السياسية التي تخصّ كلّ الأفراد والشعوب المسلمة []

إنّ الإسلام الذي نزل على محمد [] من رب العالمين في الذكر الحكيم، هادٍ ومرشد لكلّ الناس في حياتهم السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والتعليميّة؛ والنفسيّة والروحيّة والعقائديّة والتعبديّة والأخلاقيّة [] إلخ []

نسي هؤلاء القوم بأنّ أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، مارسوا السياسة في أعلى صورها لخدمة البشرية ابتغاء رضوان الله عزّ وجلّ [] فهذا يوسف - عليه السلام - النبيّ الوزير، جمع بين النبوة والوزارة والقيادة الإداريّة والوزارات المتنوّدة، كالمالية وإدارة الأزمات، والاقتصاد وإدارة الموارد []

كما أنه تصدّى - بتوفيق الله له ثم بعلمه وحكمته وعقله وذكائه وفطنته وتخطيطه - لأكبر مجاعة واجهتها مصر والشعوب التي حولها في عهد ملوك الهكسوس، باقتدار وكفاءة عالية [] فكان مقام النبوة هو المرجعيّة، وكانت الوزارات التي تحته هي السلطة التنفيذية []

وهذان النبيان داود وسليمان - عليهما السلام - جمعوا بين النبوة والملك وحكم الأمم والشعوب بشرع الله القائم على العدالة، وخدمة الإنسان، وتعمير الأرض، واستخدام الصناعة الحديدية والنحاسية، قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ) [سبأ: 10]؛ قال السعدي: "ومن فضله عليه، أن ألن له الحديد، ليعمل الدروع السابغات، وعلمه تعالى كيفية صنعته، بأن يقدره في السرد، أي: يقدره حلقا، ويصنعه كذلك، ثم يدخل بعضها ببعض". [السعدي، تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المفان، ص 676]. وقال تعالى: (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِالرِّيحِ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسبَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) [سبأ: 12]؛ أي: "وسخرنا لسليمان الريح، غدوها إلى انتصاف النهار مسيرة شهر، ورواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر وأذبنها له عين النحاس، وأجريناها له" [الطبري، جامع البيان، 19/228].

وجمعوا مع النبوة، تنظيم المؤسسات العسكرية والقضائية والاجتماعية وتقديم الطعام للمحتاجين، قال الله تعالى: (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَخَابِيثَ وَتَمَائِيلَ وَجِفَانَ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) [سبأ: 13]؛ "الجواب: جمع جابية، وهي الحوض الذي يجى فيه الماء" وقال العوفي، عنه ابن عباس - رضي الله عنه - {كالجواب} كالحياض وكذا قال مجاهد، والحسن، وقتادة، والضحاك وغيرهم [والمقدور الراسيات: أي الثابتات، في أماكنها لا تتحول ولا تتحرك عن أماكنها لعظمها] كذا قال مجاهد، والضحاك، وغيرهما [ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 6/500].

وجمعوا كذلك مع نبوتهم، تطوير العلاقات الخارجية مع الحرص على الدعوة إلى الله عز وجل: (أَذْهَبَ بِكُنَائِبِي هَذَا فَأَلْفَهُ إِيَّهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظَرَ مَاذَا يَرِجْعُونَ) [النمل: 28].

وتطوير الفنون المعمارية: (إِنَّهُ صَرَحَ فَمَرَّدَ مِنْ قَوَارِيرِ) [النمل: 44]. ونشر العدل بين الناس: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ) [ص: 26]. وكذلك بين المخلوقات حتى النمل: (لَا يَخْطِفَنَّكُمْ سُيُفْمَانٌ وَجُوذَةٌ وَهَمْ لَا يَشْعُرُونَ) [النمل: 18]. وهذا حديث يطول [وما قصة ذي القرنين في الحكم والسلطة، وإقامة العدل، وتفصيل قانون الثواب والعقاب وبناء السدود وتنمية الملكات والدفاع عن المستضعفين وتوريثهم العلم والخبرة والمعرفة في مواجهة الظالمين عنا بعيد، فقد ذكر كل ذلك في الكتاب العزيز وتحديث عن دولة متكاملة الأركان في حكمها ومؤسساتها ودستورها وأهدافها ودوافعها الدنيوية والأخوية [وفي عهد النبوة نجد دستور المدينة، والترتيبات الدفاعية والاقتصادية والسياسية، وبناء الدولة، وتحديد حدودها وقيمها القائمة على إسعاد الناس في الدارين وتلبية احتياجاتهم العقلية والروحية والنفسيّة والجسديّة والأسريّة [والخ فقد قامت تلك الدولة على القيم الإنسانية الرفيعة، وقبل كل شيء على توحيد الله وإفراده بالعبادة والتصدّي للشرك والكفر بكافة أشكاله وأنواعه]

كانت دولة المدينة شاهدة وناطقة ومدللة على عظمة الإسلام في نظام الحكم الرشيد [إنّ بعض الناس يحاول اختزال الإسلام في طقوس تُبعد الناس عن معاشهم وحياتهم ومستقبلهم، ويختزلون مفهومهم للإسلام في عبادات فردية، فيفصلوه عن الحياة السياسيّة، والسلطة التنفيذية؛ ليتولى أكلة السحت ودعاء الفجور والخمر والموبقات والكبائر انتهاك السيادة، ووضع الأوطان وشعوبها وثرواتها في أسواق النخاسة العالمية من أجل البقاء في السلطان، ويتحالفوا مع أعداء الأوطان لمحاربة أصحاب القيم والهويّة والحضاريّة الإسلاميّة؛ لمنعهم من قيادة شعوبهم] ومع ذلك، لا نكر أنّ هناك من يتاجر بالدين ويستغلّ عواطف المواطنين، للوصول للسلطة من أجل مغامراته، وسلطة واهية، ويقوم بممارسة الكذب والاحتيال والمكر والبغي، واستخدام الرشوة والسحت من أجل البقاء في السلطة مررداً بعض المصطلحات الإسلامية التي داسها بأفعاله وأعماله وممارساته!

فأمثال هؤلاء لا يمثلون القيم الإسلاميّة والمبادئ القرآنيّة في إدارة الحكم، وإنّما يمثّلون أنفسهم وما هم إلا زيد سيذهب جفاء، وأمرهم إلى الله إليه يرجعون [إنّ المعركة الحقيقيّة، هي معركة الوعي بالنسبة للشعوب في فهم دينها وإسلامها، وعندما يتكوّن الوعي المطلوب ستختار من يمثّلها لتطبيقه خير قيام]

إنّ الذين يسعون لعزل الإسلام عن دقّة الحكم في قيمه ومبادئه وشريعته، ويحاربون الحكم الرشيد بمنظومته القرآنيّة والنبويّة والحضارية الرشيدة، مألهم غير رشيد ودعوتهم مبنيّة على جهل بطبيعة الإسلام، أو عداً مخبوء في نفوسهم ضدّ الإسلام وأهله [إنّ مفهوم القيادة السياسيّة للدولة في الإسلام، مركّز على قيادة الشعوب والمجتمعات في دفع المفساد وجلب المصالح، ابتغاء مرضاة رب العالمين خالق البشر والأكوان والأمم والشعوب والحضارات والدول القديمة والحاضرة والمستقبلية] المصادر والمراجع:

تفسير القرآن العظيم، عماد الدين ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1420هـ [تيسير الكريم الرحمن بتفسير كلام المفان (تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ [جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1422هـ]